فيه "الحقيقة" بوصفها مجرّد نتاج (قد يكون ضالاً) لأفكارنا أو تمثيلاتنا الخاصّة، حيث لاشيء يمكن الإتكاء عليه ـ مامن بديل، أو موقع أكثر نقديةً وموضوعيةً ـ بوصفه وسيلة تكرّس حقيقة كوننا سقطنا في الخطأ. باختصار، هذه واحدة من "وجهات النظر التي لاهوية لها" أو واحداً من المواقف المستحيلة التي تزوّد نيجل بالموضوع الرئيسي وبالعنوان البارز لكتابه.

يبدو لي أنّ هذا الطرح يعمل بشكل فعّال ضدّ بودريار، ليوتار، فوكو، وغيرهم من ممثلي التيار المتشكك في ثوبه الراهن (مابعد الحداثي أو مابعد البنيوي). ذلك أنّ هؤلاء غالباً ماينطلقون من مجموعة معقولة من الفرضيات حول حدود المعرفة الإنسانية، و الطبيعة الإشكالية لبعض من شروط الحقيقة، والدرجة التي يمكن من خلالها لمفاهيمنا ومنظوماتنا العاملة أن تعتمد على بعض المعايير (جدلاً، لغوية أو مشروطة ثقافياً). غير أنهم يقعون في المغالطة الكبرى عندما يستنتجون وفقاً لهذه القاعدة بأنّ **الواقع نفسه** ـ بالمقارنة مع أفكارنا حوله ـ يجب أن يُرى، تبعاً لذلك، بوصفه جزءاً ملفّقاً من هذه العقلية الجمعية أو تلك. ذلك أنّ طروحات من هذا النوع تقع آلياً في المغالطة التي يلمسها نيجل مضمرة وراء مختلف أشكال التيار المثالي المضادّ للواقع بشكل متطرّف: وتحديداً نزعة خلط القضايا الابستمولوجية والانطولوجية، أو الأسئلة التي تتحدّث عن محدودية الفهم الإنساني، والأسئلة التي تتأمّل في مكانة أو وجود الأشياء والحوادث في العالم الحقيقي. وبسبب هذا الخلط استطاع بعض من مفكري مابعد الحداثة من أمثال بودريار ـ وبعض مفكري البراغماتية الجديدة من أمثال رورتي ـ أن يعتبروا "الواقع" عالماً مفقوداً نهائياً على حساب تلك النزوات الكامنة في فلك آخر تكون في الحقيقة نتاجاً لكلّ مايخطر على بالنا بالإستناد إلى آخر الإستعارات، الألعاب اللغوية، أو "المفردات النهائية" المتوفّرة. ولكن، وكما يوضّح نيجل، هذا الموقف ليس مؤسساً على الإطلاق وفقاً لأرضيات فلسفية، ولايمكن الأخذ به جدياً وبثبات عندما يُواجه المرءُ بقضية لها علاقة بإشكالية الحقيقة والزيف